صناعة النشر السعودية
من
خلال تجربة خاصة

بقلم: محمد سعيد طيب

ثمة من يقول إننا في عصر المعلومات . . وثمة من يقول إننا في عصر الاتصالات . . وفي الحقيقة فإن الارتباط عضوي بين هاتين المقولتين . فمن خلال الاتصالات تتوالد المعلومات وتنتقل . وبناء على المعلومات تتخذ القرارات سواء في ذلك الفردية أم العامة .

وتتفاوت المعلومات في قدرها وقيمتها وتأثيرها . فهناك معلومات تذكر ما جرى أو تصف ما هو حادث . وهناك معلومات تخترق القشور لتقدم اللباب وتصل إلى أعماق الأعماق سواء كان الكون حولنا أم في داخل نفوسنا .

هذه مقدمة نراها ضرورية للتعرف على أهمية الكتاب ومن ثم أهمية صناعة النشر خاصة في دولة نامية كالمملكة العربية السعودية لها تاريخ عريق في سجل الحضارة الإنسانية ولها واقع متميز على مستوى الانجاز المادي والفكري . وقد ظل هذا الانجاز لفترة شبه مجهول حتى السبعينات الميلادية حين بدأت تظهر حركة نشر نشطة استطاعت خلال فترة قياسية أن تقدم للمكتبة العربية إضافات قيمة وإيجابية .

وقد كان النشر أحد الاهتمامات الأولية في «تهامة» التي وإن بدأت عملها بالاعلان في عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م فقد أصدرت العديد من سلاسل الكتب العامة والمتخصصة ، الأدبية والعلمية والثقافية العامة .

وفي البداية كانت ثمة عدة سلبيات ومشكلات تواجه حركة النشر . وقد أدت هذه المشكلات والسلبيات إلى قصور حركة النشر عن مواكبة النهضة التي شملت مختلف أوجه الحياة في السعودية . أما هذه المشكلات فأهمها ما يلي:

أ - ارتفاع تكاليف الطباعة .
ب - ضعف قنوات التوزيع وعدم تخصصها .
جـ - ضيق سوق الكتاب .
د - نقص الكوادر الفنية اللازمة لهذه الصناعة .

وإزاء المشكلات عملت «تهامة» قدر طاقتها على إيجاد سبل لحلها أو التقليل من آثارها فتوصلت إلى صنع مناسبة للتعامل مع المطابع واشترت تجهيزات طباعية وأنشأت أقساماً فنية متخصصة في إطار إدارة النشر التي أنشئت بها عام ١٩٨٠م وأنشأت إدارة للتوزيع تولت إنشاء وإدارة شبكة واسعة من المكتبات ومراكز التوزيع بلغ مجموع وحداتها ٦٠ مكتبة ومركزاً وعملت «تهامة» على الترويج للكتاب بكل سبل الترويج المتاحة .

المنطلق الرئيسي لارتياد هذا المجال الحيوي هو الاقتناع بدور الفكر في النهوض بالمجتمع وتحقيق أهداف وغايات التنمية وبناء شخصية الإنسان العربي السعودي وتحقيق التفاعل المنشود مع العالم ، وإدراك أن واقع الكتاب السعودي لا يتناسب مع دور المملكة ومكانتها وإمكاناتها .

أتاحت «تهامة» الفرصة أمام فئات المؤلفين والباحثين السعوديين والعرب لنشر مؤلفاتهم وترجماتهم كما أتاحت الفرصة لنشر بعض الإنتاج الأدبي العالمي مترجماً للعربية من خلال عدة سلاسل هي:

أ - سلسلة الكتاب العربي وخصصت للمؤلفين السعودي. السعوديين.

ب - سلسلة الكتاب وهي سلسلة مفتوحة للمؤلفين الجامعي. الجامعيين السعوديين والعرب.

جـ - سلسلة الرسائل وهي خاصة برسائل الباحثين الجامعية. السعوديين.

د - سلسلة مطبوعات وهي سلسلة مفتوحة للمؤلفين تهامة. السعوديين والعرب.

هـ - سلسلة كتاب تهامة وتضم كتباً متخصصة في البيت للمرأة. والأسرة والثقافة الصحية.

و - سلاسل كتب الأطفال. وتضم مجموعات التربية الإسلامية، لكل حيوان قصة، حكايات ألف ليلة وليلة، قصص منوعة للأطفال.

ز - الاصدارات الخاصة. وتضم عدة أدلة وكتب إعلامية عن المملكة.

ح - الكتاب العربي وخصصت لنشر إنتاج المؤلفين اليمني. اليمنيين.

وسعت «تهامة» إلى الخروج بالكتاب السعودي من دائرة المحلية إلى آفاق أوسع عربياً ودولياً، وذلك من خلال العمل على إيجاد منافذ لبيع الكتب الصادرة عنها في عدد من الدول العربية مثل مصر وتونس ولبنان ودول الخليج العربية، وكذلك المشاركة في معارض وأسواق الكتب محلياً وخارجياً مما حقق حضوراً جيداً للكتاب السعودي. وإذا كان هذا الحضور لم يحقق عائداً مادياً «لتهامة» فإنه حقق كحد أدنى تعريفاً بالكتاب السعودي والمؤلفين السعوديين وأوجد نواة من الاهتمام بالنتاج الفكري السعودي في دوائر بدأت تتسع تدريجياً، وهذا في حد ذاته هدف يجب السعي له وتأكيده.

وتحملت «تهامة» في سبيل تحقيق دورها ورسالتها في مجال النشر تضحيات مالية كثيرة بسبب الخسائر التي تعرض لها هذا النشاط والتي ترجع إلى المشكلات المشار إليها، ولعل أهمها ضيق قاعدة القراء وانخفاض مستوى الوعي بأهمية الكتاب والمنافسة التي يلقاها الكتاب كممثل للثقافة الجادة من وسائل الترفيه والتسلية من مجلات وأشرطة فيديو وكذلك المنافسة من جانب الكتب العربية الأخرى الأقل تكلفة.

وتضع الدراسات التي تجري بشأن نشاط النشر حالياً تركيزاً خاصاً على كتب التراث والكتب الجامعية وتحديد نوعيات الكتب المناسبة للمراحل السنية المختلفة، والكتب العلمية المبسطة. ومن الأفكار المطروحة فكرة النشر المشترك سواء على المستوى العربي أم على المستوى الدولي خاصة وأن الإدارة قد خاضت تجربة جيدة في مجال النشر المشترك وذلك في كتاب دليل الشخصيات العامة في المملكة العربية السعودية الذي صدرت منه حتى الآن ثلاث طبعات باللغة الانجليزية، وكان ميداناً للتعاون مع دار يوروبا للنشر في بريطانيا. وثمة دراسة لإصدار هذا الكتاب باللغتين العربية والانجليزية. كما أن لتهامة تجربة في إصدار كتاب واحد بأكثر من لغة وهي تجربة كتاب «في ظلال الخيام السود» وهو كتاب تسجيلي مصور عن قبائل البدو صدر بالفرنسية والعربية والانجليزية في نفس الوقت بترتيب خاص مع مؤلفيه الفرنسيين.

جده